

## محاورة أفلاطون الخيالية حول التربية الانجليزية

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد .

- ٣ -

المحاورة خيالية بين الفيلسوف أفلاطون وبين أحد المرين الأنجليز . وقد دارت في العقول السابقين حول نظام التربية في إنجلترا والناية منها ، تلك الناية التي يوضحها المرين بأنها إعداد الفرد ليشارك في الحكومة الديمقراطية بطريق انتخاب رجال الحكم ، وأعضاء المجالس النيابية . وهذه التربية — كما يقول المرين الأنجليزي — تجربة في الحكم الذاتي ، أي حكم الشعب نفسه نفسه . ويرى أفلاطون أن تربية الشعب عامة محدودة ولا تكن لاندازه على الاشراف على تصرفات الحكومة ، وسياساتها الداخلية والخارجية . ولكن المرين يقرر أن نظام التربية في إنجلترا يسمح لكل فرد أن ينال خبرة مهنية فنية ، وأن يصيب من الثقافة العامة ما يمكنه من معرفة شؤون السياسة العامة للأمة . والفرص متاحة لكل من تؤهله مواهبه الطبيعية لأي نوع من أنواع التعليم أولاً كان أو ثانوياً أو جامعياً . وهنا يفترح أفلاطون أن تترك مقاليد الحكم للجامعيين ، وحمله الضمادات العليا ، لما هم عليه من ثقافة فلسفية وعلمية . بيد أن المرين لا يشاركه الرأي ويقول : إن الحياة هي جامعة الجامعات ، وأبواب المناصب مفتوحة لكل من تزيه كفايته وخبرته لأبها ، سواء أكانت من أبناء الجامعات أم من غيرهم .

أفلاطون : لا شك أنك ستجد ضرورياً أن تفرق بين نوع للتربية الملائم للرجال المسؤولين ، وذوي الثيمات الوطنية ، وبين نوع التربية الملائم للصناع والعمال . فتربية الأول هي تربية ثقافية عالية ، بينما تربية الآخرين تربية فنية مهنية .

المرين : أنا لا أؤمن بهذا الرأي . إننا نعتقد في بلادنا أن كل فرد يجب أن ينال نصيباً آخر من التربية غير تلك للتربية الآلية التي تصد للمهنة أو للصناعة ، لأن كل الأفراد قد منحوا صفة للبشرية ، وصفة للتفكير والإدراك ، ولهم قوى كامنة يمكن أن تتقبل الثقافة والحكمة . ولهذا يجب أن ينال كل فرد إلى تربيته المهنية تربية ثقافية عامة .

أفلاطون : ولكن أسمعون بهذه التربية الثقافية العامة للموهوبين وغير الموهوبين على السواء ؟

المرين : كلا . هذا مستحيل ، أولاً لأن السواد الأعظم من تلاميذ المدارس يكتفون بالتعليم إلى نهاية المرحلة الأولية ، أعني إلى سن الرابعة عشرة ؛ وثانياً لأنه ليس كل الأفراد صالحين للتعليم الجامعي .

أفلاطون : إنني موافقك على هذا بكل قواي . إن للطبقة قليلة الذكاء من أبناء الشعب والتي أسميها العامة في « مدينتي للفاضلة » ، لا تفهم للفلسفة ولا تتمتع بها . والأفراد للقلائل منها الذين يتذوقون طعم للفلسفة يخدمهم أول أفك يقابلون ، أو متطهب ، أو متدين عتال يستولون على قلوبهم بمبارات الدين الخلاب . إن ذوق العامة يميل دائماً إلى الدون من كل شيء . ولا يفرق بين التكحل والكحل ، ولا بين الحقيقة والخيال . وهذا هو ما دعاني لأن أحظر على العامة دراسة الحقائق والعلوم للفلسفية ، وأن أقصرهم على الأساطير ، وأحاجي الآلهة ، والأفانيس الخيالية . تلك الأشياء التي أسميها « الأكاذيب للتبيلة » ، والتي يجب على الحكومة أن تهيئها للعامة لترضى رغبتهم الملحة في التثقيف والتنوير ، ولتقدم بشيء يتحدثون عنه وتلوكة ألسنتهم ، حينما يجلسون ليقولوا أوقات فراغهم . وقد سمعت بأمة مجاورة لكم قد عملت وزارة للدعاية وتنوير العامة . وكم أظن هذا الخبر قلبي سروراً ، لأنه يدل على أن من بين أعضاء حكومة هذه الأمة من يقدرون الأخطار التي تنجم عن ترك العامة بطعمون أخلاط الثقافات والآداب والموسيقى لا فرق بين غنها وسميتها ، فتؤثر هذه الأخلاط في نفوسهم ، ومحملهم على اللزورة وسوء النظام

المرين : أحسب أنك لا تمتاز كثيراً عن الفاشستي كيف تحمل هذا النوع من الدعاية الحكومية التي يقصد بها استرقاق عقول الناس ، وحققهم بالأكاذيب ، والأخبار الموهمة ؟ إن هذا هو للقضاء النهائي على الحرية

أفلاطون : وهل يتمتع حقاً أبناء شملك بالحرية ؟ أليسوا هم أيضاً أرقاء للأكاذيب والأخبار المفجعة التي يطالعونها كل يوم في الصحف ، وفي السينما ، وفي القصص الروائية ، ويسمعونها من الخطباء في الأندية والنقابات ؟

المرين : يجب أن أعترف بكراهيتي لهذا النوع للبخص من الصحف اليومية التجارية ، ولهذا النوع الدون من إنتاج الدنيا . ولكن لا تنس أن الإنجليزى حر مهما كانت الحال ليختار لنفسه ، فهو ليس مجبراً لأن ينصت لجانب واحد من الدعاية ، بل له أن يسمع كل الآراء والقضايا ، ويكون هو بمد ذلك حكمه الخاص أفلاطون : لا تتعجل في نتائجك . أنت تقول : إنه حر الاختيار ، فكيف يتحلى له هذا إذا لم يكن عنده مقياس للاختيار ، ولم يكن له الحكم الذي يميز به الأذى من الصحيح ؟ من المؤكد

أنه لا يستطيع الاختيار . ولذلك فهو يقف زائع للذكر متحيراً ، قد بهرته أسراب الخيالات التي تظن في أذنيه طنين النحل ، حتى لا يدري أواقف هو على رأسه أم على قدميه . صحيح إن سماع أخلط من الأخبار الموهبة أكثر إمتاعاً من سماع خلط واحد ، ولكني لا أستطيع أن أفهم لم تدعى أن للفرد في الحال الأولى حر ليختار وفي الحال الثانية رقيق يقبل كل ما يسمع . إن حقيقة الأمر هي أنه مادام الفرد لا يستطيع التمييز بين الزيف والصحيح فليس بمر ، سواء أكان هذا للفرد إنجليزياً أم ألمانياً أم آتانياً ولذلك فإني حيناً أفكر في نظام التربية للقائم عندكم ، والذي تقولون عنه إنه تجربة في الحكم الذاتي ، لا أجد شيئاً من هذا الحكم الذاتي الزعوم ، لأن هذه التربية التي تبالغ في حدها لا تجعل للعامة أحراراً ، ولكنها تمت على الضرور والادعاء في نفس متلقيها . والنتيجة هي أن هؤلاء العامة الذين تلقوا هذه التربية قد أصبحوا أكثر تعرضاً لخطر تجار الثقافة والمعارف ، وأغنى بهم أولئك الدجالين الذين يندعون العامة بمقالاتهم للطائفة وإعلانهم للثقافية لا يبرز المال ، لا من أيدي للصناع والمهال ، بل من أنصاف التملين . والدليل على قولي هذا بسيط . فلو كانت تربيتكم صحيحة حقاً لما ظل في بلادكم هذا النوع من تجار الثقافة ، بل لضاقت عليهم الأرض بما رحبت فهاجروا إلى بلاد أخرى . أما وهم لا يزالون بين ظهرانيكم فهذا دليل على أن للتربية القائمة عندكم لا تكون العامة للكافية ضد تجار الدين والثقافة والعلوم وشبهه هذا ما يحصل في ميدان السياسة . فالجمهور لا يستطيع طبعاً أن يفكر في شؤون السياسة تفكيراً سليماً . وهو يظن زعماء أن تربيتهم قد كونت منه سياسياً مفكراً ، هذا الظن الذي يجمعه أكثر خضوعاً لأنواع الدعاية والإعلان السياسي . ويحيل إلى أن كل صانع أو عامل نال شيئاً من التربية العامة الأولية يستند أنه قدبر على للفصل في الأمور التي ليس له فيها تجربة أو معرفة إنك تدرك من الآن أنه من السهل على أي خطيب من خطباء السياسة على الجيب وحاد اللسان ، أن يخرج على الناس بمشروعات ضخمة يخدم بها أنصاف التملين ، فيرضي فيهم الميول الطائشة ، ويستولى على مشاعرهم بإثارة عاطفة الادعاء فيهم ولقد حدثت من أنواع المفسطائين الذين يمتثلون باسم الثقافة والرفان ، والذين يبشرون بينكم ناعى للبال . وأعتقد أنك لا تستطيع أن تنكر أن هؤلاء إنما يرتمون في أموال التملين

من أبناء جنسك . على أن هذه الحال إن دلت على شيء فإنما تدل على أن النفس البشرية لا تخضع دائماً للحقائق والمعارف للصحيحة التي تقدم لها في المدارس والمعاهد ، وإنما تنجح إلى شيء آخر : إلى الخيال والسكرامات والمعجزات . وتقبل — كلما سنحت لها الفرصة — الخرافات والخزعبلات ، بدلاً من أن تتقيد بقوانين العلم وأسس المعرفة للصحيحة . وذلك لأن الحقائق ليست حلوة المذاق دائماً ، وليس لها تلك الجاذبية التي للدعوى الخادعة

من أجل هذا كله أرى لزماً عليكم أن تكونوا حذرين فيما تعملون لأجل صمادة أمتكم وصلحها . لأن للتربية المحدودة يجعل للفرد يخدم نفسه بنفسه ، ويظن أن المعارف أمر سهل المنال ، وأن أبوابها مفتحة لكل من قرأ كتاباً أو سمع محاضرة وهذا ينطبق أيضاً على الديمقراطية عندكم . فإني أخشى أن تكون هي الدكتاتورية التي تكرهونها ، ولكن في ثوب الديمقراطية ، فيخدم العامة بما يقول مروجوها

وفي ظني أن قادة الرأي عندكم ليسوا أحراراً أيضاً فيما يقولون ويقولون فحررو الصحف، وواضمو الأفلام ، والخطباء، ورجال السياسة ، والناشرون ، كل أولئك ليسوا أحراراً يعملون ما يشاءون ، ولكنهم خاضعون لميول العامة وذوقهم ، حريصون أن يقدموا لهم ما تستمع حلوهم

الربي : لقد تحقق ظني فيك ، فقد حسبناك فاشتمتاً من طليمة حديثك . والآن أصبح الحساب يقيناً ، فأنت لا حرمة عندك للجماعة البشرية ، وليس في قلبك حذب عليها ولا حب لها . أنت تريد أن تسيطر على كل فرد ، وأن تجعله يستند ما تستند . وإني أؤكد لك من الآن أنك لن تجد من يعطف عليك في بلادنا ولا من يشاركك الرأي

أفلاطون : إن ما تقول جار ، ولكن أهم أنى غير راقب في إخفاء الحق رغبة منى في عطف أهل بلادك على ، ومع هذا لا أعتقد أنهم سيكرهوني كما تفكر ، إنهم أعقل مما تظن

الربي : إن ما أستطيع استنباطه من حديثك هذا هو أنك تريدنا أن نرجع إلى الوراثة ، إلى الزمن القديم ، زمن جهالة العامة وحكم طبقة الأقلية الخاصة ، زمن مدارس أولاد الأعيان<sup>(١)</sup>

أفلاطون : كلا . أنا لا أريدكم أن ترجعوا إلى الوراثة ، وإلى